في التنوير الإسلامي

«٦٧»

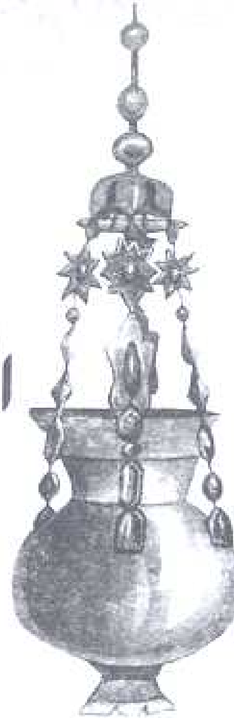


السَّماحَةُ الإسْلامِيَّةُ

تأليف

د. محمد عمارة

في التنوير الإسلامي ٦٧



السَّماحةُ الإسْلاميَّةُ

تأليف
د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: السماحة الإسلامية

المؤلف: د. محمد عمارة

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

تاريخ النشر: الطبعة الأولى أغسطس 2006م

رقم الإيداع: 2006 / 15097

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3541-8

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02) - 3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)

مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

تمهيد

السماحة ـ فى المصطلح الحضارى العربى الإسلامى ـ: هى الجود.. أى العطاء بلا حدود.. وهى المساهلة واللين، فى الأشياء والمعاملات، دونما انتظار مقابل أو ثمن، أو حاجة إلى جزاء.

فشارع الإسلام، سبحانه وتعالى، قد شرعه لهداية العالمين، ولتحقيق مصالحهم الشرعية المعتبرة، ومقاصد شريعة هذا الإسلام هى تحقيق ضرورات وحاجيّات وتحسينات الاجتماع الإنسانى، ومطلق الإنسانية، فى المعاش والمعاد.. والله، سبحانه وتعالى، غنى عن الخلق الذين شرع لهم هذا الهدى الدائم، وأفاض عليهم هذه السماحة، والجود بلا مقابل، وبلا حدود..

ولهذه الحقيقة، خلا الإسلام من كهانة الأحبار والرهبان، الذين استغلوا أهل دياناتهم مقابل إرشادهم إلى التدين بتلك الديانات.. فالمسلم يأخذ دينه من الشارع مباشرة ودون مقابل، وهو يؤوب ويتوب إلى بارئه مباشرة دون وساطات أو إتاوات.

ولذلك كانت السماحة صفة لصيقة بالإسلام، ومميزة لهذا الإسلام.. كما كانت صفة واقعية تجسدت فى أمته وحضارته وتاريخه، ولم تكن مجرد «مثاليات» استعصت على التطبيق.. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «إنى أرسلت بحنيفية سمحة» (رواه الإمام أحمد) وقال أيضًا: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» (رواه البخارى وأحمد).

* * *

وليس جديدًا أن يكتب كاتب عن سماحة الإسلام، ولا أن يقارن بين هذه السماحة الإسلامية ونظائرها فى الأنساق الدينية والفلسفية والحضارية الأخرى..

لكن الذى تريد أن تقوله هذه الصفحات هو أمر متميز نوعيًا فى الكتابة حول هذا الموضوع.. فهى تريد أن تقول، من خلال الأصول والمبادئ والقواعد الإسلامية.. ومن خلال تطبيقاتها العملية فى الحضارة الإسلامية وفى التاريخ الإسلامى: إن السماحة قد بدأت، فى التاريخ الإنسانى بظهور الإسلام، وإنها قد بلغت فيه مستوى متميزا، لا نظير له خارج الإسلام..

لقد ظهر الإسلام، على يد محمد بن عبد الله، ﷺ، وليس فى العالم دين ولا حضارة تعترف بالآخر، أو تسالم الآخرين

فاليهودية التلمودية، قد تحولت إلى «ديانة عنصرية»، يقول لها عهدها القديم: إن اليهود ـ بحكم الولادة والعرق والدم والجنس.. وليس بحكم التدين والصلاح والتقوى ـ هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه! كما يقول لهم عهدهم القديم هذا: إن علاقتهم بالآخرين ـ كل الآخرين ـ ليست فقط الكراهية واللعن والإنكار، بل المطلوب منهم أن «يأكلوا» الشعوب الأخرى أكلاً! فإبادة الآخرين ـ عندهم ـ تكليف إلهى: «... والآن اقتل كل ذكر بين الصغار، وكل امرأة عرفت رجلاً ضاجعها» (سفر العدد ـ ١٧: ٣١).. «لأنك أنت

شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. مباركًا تكون فوق جميع الشعوب. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم» (سفر التثنية ـ ٦: ٧، ٧، ١٤ ـ ١٦).

ولقد وصف القرآن الكريم هذه العنصرية اليهودية، المنكرة للآخر، بحكم كونه آخر، ولحقه فى الكرامة، بل وفى الوجود.. وصفها القرآن الكريم فقال:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

ولقد بادلت النصرانية اليهودية إنكارًا بإنكار.. فطبقت على اليهود ذلك المبدأ الظالم الذى ابتدعوه ونسبوه ـ زورًا وبهتانًا ـ إلى الذات الإلهية، عندما زعموا أن الله يعاقب الخلف بذنوب السلف حتى أربعة أجيال! «فالرب ـ عند اليهود ـ لا يبرئ. بل جعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع» (سفر العدد ـ ١٤: ١٨).

طبقت النصرانية على اليهود هذا «المبدأ» الظالم، وامتدت به إلى الأبد. فوضعت فى صلواتها لعن كل أجيال اليهود بذنب موقف أجدادهم الأولين من المسيح، عليه السلام!

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الإنكار النصرانى للآخر عندما أشار إلى دعواهم احتكار النجاة والجنة والخلاص:

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

ولقد تجسد هذا الإنكار المتبادل للآخر، فى الواقع والممارسة والتطبيق، ثورات واضطهادات طفحت بها كتب التاريخ حيثما وجد اليهود والنصارى فى أى مجتمع من مجتمعات التاريخ..

ونفس هذا الإنكار للآخر، واحتقاره واضطهاده، وتجريده من الإنسانية وحقوقها، صنعته «الحضارة» الغربية، فى بدايتها الإغريقية وفى طورها الرومانى..

ففى «أثينا» ـ التى ينسبون إليها ابتداء الديمقراطية ـ كانت هذه الديمقراطية احتكارًا لقلة من الفرسان الأشراف الملاك، الذين يجتمعون فى ميدان أثينا، يمارسون الديمقراطية ويتمتعون بجميع حقوقها.. أما غيرهم من البشر، فإنهم ـ برأيهم ـ «برابرة وهمجٌ» لا حظ لهم فى الديمقراطية، ولا نصيب لهم من أية حقوق للإنسان!

وكذلك كان حال هذه «الحضارة» فى طورها الرومانى.. فعلى الرغم من إبداعها القانونى، الذى تبلور فى «مدونة» الإمبراطور «جستنيان» (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) إلا أن هذا القانون إنما كان حقًا من حقوق السادة الفرسان والأشراف الرومان.. أما الشعوب الأخرى، فلقد كانوا ـ برأيهم ـ «برابرة»، لا حق لهم فى أن يطبق عليهم قانون السادة الرومان!

وإذا شئنا الإشارة إلى «دراسة حالة تطبيقية» لهذا الذى ساد العالم، من إنكار للآخر، واضطهاد كل طرف لكل آخر - قبل ظهور الإسلام وإبَّان ظهوره - فيكفى أن نشير إلى «حالة مصر».. فلقد شاع فيها اضطهاد أتباع «إخناتون» (١٣٨٠ - ١٣٥٨ ق.م) لأتباع المعبود «آمون».. فلما انتصر أتباع «آمون» بادلوا أتباع «إخناتون» إنكارًا بإنكار واضطهادًا باضطهاد..

فلما ظهرت النصرانية، وعرفت طريقها إلى مصر منتصف القرن الميلادى الأول، لقيت هذه النصرانية إنكارًا شديدًا واضطهادًا اقترب من الإبادة على يد وثنية الرومان المستعمرين والوثنية المصرية.. ولقد بلغ هذا الاضطهاد الذروة فى عهد الإمبراطور «دقلديانوس» (٢٤٥ - ٣١٣م)، الذى حول النصارى إلى طعام للأسود والنيران وأسماك البحار! حتى لقد أرَّخ نصارى مصر - ولا يزالون - بعهده، وسموه «عصر الشهداء»[1] فلما تدينت الدولة الرومانية بالنصرانية، فى عهد الإمبراطور «قسطنطين» (٢٧٤ - ٣٣٧م) مارست النصرانية - الرومانية والمصرية - الاضطهاد ضد الوثنية المصرية، فهدمت معابدها، وسحلت وذبحت فلاسفتها وأحرقت مكتباتها، وعبثت بالآثار المصرية عندما حولت بعضًا منها إلى كنائس وأديرة.. حتى لقد قاد الأسقف «تيوفيلوس» - الذى تولى البطريركية المصرية ما بين سنة ٣٨٥م وسنة ٤١٢م - حملة اضطهاد عنيفة ضد الوثنيين، واتجه للقضاء

---

(١) يوحنا النيقوس (تاريخ مصر ليوحنا النيقوس) ص٩٠ - ٩٥. ترجمة ودراسة وتعليق د. عمر صابر عبد الجليل. طبعة القاهرة - سنة ٢٠٠٠م

على مدرسة الإسكندرية، وتدمير مكتبتها وإشعال النار فيها.. وطالت هذه الإبادة مكتبات المعابد، وتم السحل والحرق لفيلسوفة الأفلاطونية الحديثة وعالمة الفلك والرياضيات «إناتيه» (٣٧٠ ـ ٤١٥م).. وذلك فضلا عن تحطيم التماثيل[1].

ثم ما لبث الإنكار والاضطهاد أن أعملا قانونهما وسيوفهما. بعد اختلاف المجامع النصرانية حول طبيعة المسيح، عليه السلام ـ فمارست النصرانية الرومانية ـ «الملكانية» ـ الإنكار والاضطهاد ضد النصرانية المصرية ـ «اليعقوبية» ـ فهرب النصارى المصريون إلى الصحارى والمغارات والكهوف.. وهرب رأس الكنيسة المصرية البطريرك «بنيامين» (١ ـ ٤١هـ/ ٦٢٣ ـ ٦٦٢م) ثلاثة عشر عامًا، حتى استدعاه وأمَّنه وأكرمه وحرر كنائسه وردها إليه قائد الفتح الإسلامي «عمرو بن العاص» (٥٠ ق.هـ/ ٥٧٤ ـ ٦٦٤م).. فاتحًا بذلك أولى صفحات كتاب السماحة والتسامح فى تاريخ مصر والمصريين!

كان هذا هو حال الدنيا وواقع العالم وموقف أصحاب الديانات والحضارات من الآخر عندما ظهر الإسلام سنة ٦١٠م..

لم تكن هناك سماحة مع الآخر على الإطلاق.. بل لم يكن هناك اعتراف بالآخر على الإطلاق.. فماذا قدم الإسلام فى هذا الميدان؟

* * *

(١) المصدر السابق، ص١٢٢، ١٢٥ ـ ١٣٠. د. صبرى أبو الخير سليم [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] ص ٤٠، ٤١، ٤٩، ١٢٦، ١٦٧، ١٦٨ طبعة القاهرة. سنة ٢٠٠٠م

بالإسلام بدأ تاريخ السماحة

لقد بدأ الإسلام بوضع «لبنات عالمية إنسانية جديدة» وغير مسبوقة.. بدأ بالتأكيد على أن الله، سبحانه وتعالى، هو رب العالمين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١].. وليس رب شعب دون شعب، ولا أمة دون غيرها من الأمم.. ثم أكد على أن الإنسان الذى كرمه الله بأن نفخ فيه من روحه ليكون ربانيًا هو آدم أبو البشر أجمعين.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

[الحجر: ٢٨ ـ ٢٩].

ولذلك، فإن التكريم الإلهى هو لمطلق الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وليس هذا التكريم حكرًا لشعب من الشعوب ولا لأبناء دين من الأديان أو حضارة من الحضارات..

ونفى الإسلام أن يكون التفاوت فى مراتب القرب من الله، سبحانه وتعالى، ثمرة «للصفات اللصيقة» ـ (العنصرية) ـ وجعل هذا التفاوت والتفاضل ثمرة لمعايير متاحة ومفتوحة أبوابها أمام كل إنسان.. فالتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى معايير الصلاح فى المعاش والمعاد.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

ولم يحتكر الإسلام النجاة لأبناء شريعة دون الشرائع الأخرى التى جاءت بها الرسالات السماوية فى إطار الدين الإلهى الواحد، وإنما أكد على أن ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].. وأشار إلى أن الذين آمنوا بوحدانية الذات الإلهية وبالغيب واليوم الآخر والحساب والجزاء، وعملوا صالحًا فى حياتهم الدنيا، وفق أية شريعة من الشرائع الإلهية الحقة، لا يمكن أن يستووا بالذين جحدوا الحق بعد أن عرفوه، فكفروا بالألوهية الواحدة، وبالغيب، ولم يعملوا صالحًا، وتنكبوا كل شرائع السماء.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ورفض الإسلام كل الفلسفات والأنساق الفكرية التى زعمت واجتمعت على أن العنف والقتال وسفك الدماء هى «غريزة وجبلة» مركوزة فى طبيعة الإنسان.. وقرر أن القتال استثناء، وليس القاعدة، وشذوذ عن طبيعة الفطرة السوية، وأنه مكتوب ومفروض على هذا الإنسان، بل ومكروه من الإنسان الذى يرتقى إلى المستوى الحقيقى للإنسان.. قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة غير المسبوقة، عندما قال:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وبينت السنة النبوية هذه الحقيقة القرآنية عندما قال رسول الله، ﷺ: «لا تمنوا لقاء العدو، واسالوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله» [رواه الدارمي].

بل وبلغ الإسلام على هذا الدرب غير المسبوق إلى الحد الذي أوجب فيه العدل حتى مع من نكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة ٢].

بل والعدل حتى مع من نقاتل ردًا لعدوانه علينا ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

كما سنّ الإسلام قواعد «للفروسية الإسلامية»، غير مسبوقة ولا ملحوقة، في تاريخ الحروب.. فالرسول ﷺ قد نهى عن قتل النساء والولدان.. وكان إذا بعث سريّة قال لهم: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا - أي لا تخونوا - ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا» [رواه البخاري، ومسلم، ومالك في الموطأ].

ولقد صاغ أبو بكر الصديق (٥١ق. هـ - ١٣هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤م) رضي الله عنه - وهو على رأس دولة الخلافة الراشدة - هذه السُّنة النبوية «وثيقة لشمائل الفروسية الإسلامية»، عندما أوصى «يزيد ابن أبي سفيان» (١٨هـ / ٦٣٩م) وهو يودعه أميرًا على الجيش

الذاهب إلى الشام، فقال له: «إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له.. وإني أوصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكله، ولا تحرقن نخلا، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن» [رواه مالك في الموطأ].

فشملت أخلاقيات الفروسية الإسلامية آداب التعامل مع الإنسان.. والحيوان.. والنبات.. والجماد.. لأن «الخليقة الطبيعة» كلها حية، تُسبِّح خالقها، وإن لم نفقه لغاتها في التسبيح، فالعلاقة الإسلامية بها هي علاقة تآخٍ ورفق وارتفاق، وليست علاقة قهر وتدمير واستغلال..

وفوق كل ذلك، حصر الإسلام أسباب ومبررات استخدام هذه الضرورة وهذا الاستثناء - القتال - في أمرين اثنين، هما: رد العدوان عن العقيدة، ليتحرر الضمير، ويكون الدين كله لله.. ورد العدوان عن الوطن - الذي هو وعاء إقامة الدين - وذلك بردع الذين يخرجوننا من ديارنا أو يظاهرون على إخراجنا من الديار ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الممتحنة: ٧ - ٩].

بل وحتى هذا القتال ـ الاستثنائي.. المكروه.. والمفروض ـ قد جعله الإسلام «تدافعًا»، المقصد من ورائه تعديل المواقف، وتحقيق التوازن العادل، ليحل محل الخلل الفاحش، وصولا إلى التعايش بين الفرقاء المختلفين.. وليس «صراعًا» يستهدف أن يصرع طرف الطرف الآخر، فيلغيه.. فالتعددية والاختلاف والتمايز سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل.. وإذا كان «الصراع» ينتهي بإلغاء هذه التعددية، والقضاء على الآخر ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة ٧، ٨]. فإن المقصد الإسلامي هو الإبقاء على التعددية، وتحقيق التوازن والتعايش بين فرقائها ـ بالتدافع لا بالصراع ـ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت ٣٤] فالتدافع سبيل للحياة، ولإصلاح الحياة.. بينما الصراع هو طريق الفناء.

صنع الإسلام ذلك كله، حتى مع المشرك الذي يعبد الأوثان والأصنام من دون الله.. أما مع أصحاب الشرائع الدينية، الذين جاء الإسلام وكل منهم ينكر الآخر ويلعنه في صلواته ويصب عليه ألوان الاضطهادات والإبادات بحسبان ذلك مما يقربه إلى الله فإن الإسلام ـ في تعامله مع أهل هذه الشرائع ـ قد أضاف إلى تقريره وحدة الألوهية والربوبية لكل العالمين، ولكل عوالم المخلوقات.. أضاف إليها عقيدة الإيمان بكل الكتب السماوية التي نزلت.. وجميع النبوات والرسالات التي سبقت.. وسائر الشرائع الإلهية التي توالت منذ آدم إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام.

فوحدة الدين والملة عبر التاريخ الإنساني تجعل جميع الأنبياء أبناء أبٍ واحد ـ دين واحد ـ وتجعل شرائعهم المتعددة تنوعًا في إطار الدين الواحد ـ فأمهاتهم ـ شرائعهم ـ شتى، وأبوهم ـ دينهم ـ واحد.. وصدق رسول الله ﷺ، عندما أكد هذه الحقيقة، فقال: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد» (رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود).. وقال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وبهذا الأفق الإسلامي في السماحة، احتضن الإسلام الكل، وجعل الإيمان فيه شاملا لكل ما أوحت به السماء على مر تاريخ الوحي إلى كل الرسل والأنبياء.. وبذلك ـ ولأول مرة في التاريخ ـ جعل الإسلام «الآخر» جزءا من «الذات».. فتجاوز بهذا المستوى غير المسبوق في السماحة مجرد الاعتراف بالآخرين والقبول بالآخرين؛ ولهذا كان الحديث الإيجابي والمنصف والموضوعي عما لدى الآخرين.. فكتبهم، التي يعترف علماؤهم بتلفيقها ووضعها وتحريفها[1]، لم يعمم القرآن الكريم عليها هذا التحريف، وإنما تحدث عن هذه الكتب فقال:

---

(١) انظر كتاب (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث) تحرير زالمان شازار ص ٣١، ٣٣ ـ ٣٥، ٣٧ـ ٣٩، ٤٤، ٥٠ـ ٥٢، ٥٩، ٦٠، ٦٥ ـ ٦٨، ٧٠ ـ ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٣ ـ ٩٦، ٩٨ ـ ١٠١، ١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١١٧، ١٣١، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٦ ـ ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠ ـ ١٩٢، ١٩٤ ـ ١٩٦، ٢٠٥ ـ ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٦.
ترجمة أحمد محمد هويدي. مراجعة محمد خليفة حسن. طبعة القاهرة ـ سنة ٢٠٠٠م.

﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾

[آل عمران: ٢ ـ ٤].

وقال:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ولم ينه الإسلام الذين آثروا الشرائع الأخرى عن الاحتكام إلى ما بين أيديهم من الكتب، بل أمرهم بتحكيمها ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣].

ووجدنا تطبيقات هذا الموقف، غير المسبوق فى حوار الصحابى «حاطب بن أبى بلتعه» (٣٥ ق. هـ ـ ٣٠هـ / ٥٨٦ ـ ٦٥٠م) مع «المقوقس» عظيم القبط بمصر، عندما حمل إليه «حاطب» كتاب رسول الله ﷺ سنة ٧ هـ، ٦٢٨م، فقال له: «إننا ندعوك إلى الإسلام: الكافى به الله فقد ما سواه، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به!»[1].

كذلك بلغ الإسلام على درب العدالة والموضوعية والإنصاف الحدَّ الذى جعله لايهمل الفروق الدقيقة بين فصائل وتيارات أى

(١) ابن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها) ص٤٦. طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م.

«آخر» من الآخرين.. فلم يعمم الأحكام ولا الأوصاف على أهل الكتاب، وإنما رأينا القرآن الكريم يقول:

﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾

[آل عمران: ١١٣].

﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [آل عمران: ٧٥].

فلا يسوى القرآن ولا يعمم الأحكام والأوصاف على فصائل أهل الكتاب وتياراتهم وفرقهم.. ثم يقعِّد لقاعدة «عدم التعميم» هذه، فيقول ﴿ليسوا سواء﴾ [آل عمران: ١١٣].

ولم يقف الإسلام بهذا الأفق غير المسبوق فى السماحة والتسامح عند «الآخر» المتدين بديانات سماوية فقط - أهل الكتاب من اليهود والنصارى - وإنما امتد به ليشمل المتدينين بالديانات الوضعية.. فتركهم، هم أيضًا، وما يدينون، وعاملهم فى الدولة الإسلامية معاملة أهل الكتاب.. فعندما فتح المسلمون فارس - وأهلها مجوس يعبدون النار، ويقولون بإلهين، أحدهما للخير والنور، والثانى للشر والظلمة - عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ - ٢٣ هـ/ ٥٨٤ - ٦٤٤م) رضى الله عنه، أمرهم على «مجلس الشورى»..

الذى كان يجتمع بمسجد المدينة، فى مكان محدد، وأوقات محددة.. وكان عمر يجلس معهم فيه، ويحدثهم على ما ينتهى إليه من أمر الآفاق والولايات والأقاليم.. فقال لأعضاء مجلس الشورى:

- كيف أصنع بالمجوس؟

فوثب عبد الرحمن بن عوف (٤٤ق. هـ - ٣٢هـ / ٥٨٠ - ٦٥٢م) فقال:

- أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: «سنوا فيهم سنة أهل الكتاب»[1].

فعوملت الديانات الوضعية معاملة الكتابية.. وجاء الفقهاء فقعّدوا هذه السنة النبوية، وهذا التطبيق الراشدى لها فقالوا: لقد كانت لهذه الديانات كتب ثم ضاعت..

وحتى ندرك سمو هذا الأفق الإسلامى الجديد، فى السماحة والتسامح، والذى بدأ الإسلام به التاريخ الحقيقى للسماحة فى مسيرة الإنسانية وشرائعها وفلسفاتها وحضاراتها، نلفت الأنظار إلى حقيقة أن الإسلام لم يصنع هذا الاعتراف «بالآخر» والقبول لهذا «الآخر» وتمكين «الآخر» من إقامة عقائده.. لم يصنع الإسلام كل ذلك باعتباره مجرد «مباح» وحق من حقوق هذا «الآخر» وإنما جعل ذلك فريضة إسلامية، وشرطًا لاكتمال الاعتقاد بعقائد الإسلام!

(١) البلاذرى (فتوح البلدان) ص ٣٢٧ تحقيق د. صلاح الدين المنجد. طبعة القاهرة. سنة ١٩٥٦م.

وأكثر من هذا، وفوقه.. أن الإسلام لم يقف بذلك الأفق السامى عند «الآخر» الذى يبادل الإسلام اعترافا باعتراف، وقبولا بقبول؛ وإنما صنعه مع «الآخر» الذى ينكر الإسلام ويجحده ويكفر بمقوماته - وكل الآخرين الذين ينكر كل واحد منهم صاحبه، يجتمعون جميعًا، حتى هذه اللحظة، على إنكار الإسلام وجحوده والكفران به.. فلا يؤمنون بأن قرآنه وحى سماوى، ولا بأن رسوله مبعوث إلهى، ولا بأن ما جاء به دين إلهى ومع كل ذلك وبرغمه، كان هذا هو موقف الإسلام - غير المسبوق وغير الملحوق - فى الاعتراف بكل الآخرين، الذين ينكرونه ويجحدونه.. بل لقد تجاوز الاعتراف بهم والقبول لهم ووصل إلى حد جعلهم جزءًا من «الذات»، ذات الدين الإلهى الواحد.. وذات الأمة الواحدة.. بل وجعل تمكينهم من حرية إقامة شعائرهم - التى ربما جحدت الإسلام - شرطا من شروط اكتمال عقيدة الإسلام، وإسلامية دولة الإسلام!

فهل فى تاريخ الدنيا والأمم والحضارات والشرائع والثقافات والفلسفات - قبل الإسلام وبعده - سماحة شبيهة بهذه التى بدأت بالإسلام.. والتى تفرد بها الإسلام؟

* * *

ولم يكن هذا الذى قرره الإسلام، وابتكره، وأنجزه مجرد «فكر نظرى» كتلك الوصايا «الصوفية ـ المثالية» التى تضمنتها كتب سابقة على القرآن الكريم، لم تعرف طريقها إلى أية تطبيقات فى ممارسات ومجتمعات الذين «حملوها فلم يحملوها.. واستحفظوا عليها فلم يحفظوها».. وإنما تحول هذا الذى قرره الإسلام، وابتكره إلى «حياة.. ودولة.. وحضارة.. وتاريخ».

ففى دولة المدينة، التى رأس حكومتها رسول الله ﷺ، نص «دستورها» - (الصحيفة - الكتاب) - على التعددية الدينية لرعية هذه الدولة الإسلامية الأولى، وعلى مساواة العدل والإنصاف فى حقوق المواطنة بين هذه الرعية المختلفة والمتعددة فى الدين..

لقد حول الإسلام «القبائل» إلى لبنات فى بناء «الأمة» الجديدة، وجعل أبناء الشرائع الدينية المتعددة لبنات أصيلة فى هذه الأمة الواحدة، وفى رعية هذه الدولة الإسلامية الواحدة.. حتى أن تاريخ الفكر الإسلامى لم يعرف مصطلح «الأقلية»، وإنما عرف «الأمة الواحدة» التى جعل الإسلام تنوعها واختلافها - فى الشرائع الدينية.. وفى الشعوب والقبائل وفى الألوان والأجناس.. وفى الألسنة واللغات والأقوام.. وفى المناهج والعادات والتقاليد والأعراف - سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل.. فنص «دستور» الدولة الإسلامية الأولى - الذى وضعه الرسول ﷺ عقب الهجرة إلى المدينة على أن «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.. وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم.. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه

الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم. لا يكسب كاسب إلا على نفسه»[1].

وهكذا أسس هذا «الدستور» ـ وفى الدولة الإسلامية الأولى ـ لكامل المساواة والإنصاف فى حقوق المواطنة وواجباتها، على نحو غير مسبوق وغير ملحوق فى الإطار غير الإسلامى، منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنًا.. ويزيد من عظمة هذا الإنجاز لهذه التعددية وهذه المساواة، أنها لم تتم على أنقاض الأديان المختلفة، وفى ظل استبعاد هذه الأديان، كما هو الحال مع حقوق المواطنة فى الدول العلمانية، وإنما هى تعددية ومساواة بين فرقاء يحتفظون بتنوعهم الدينى واختلافاتهم العقائدية.. كما أن هذه التعددية وهذه المساواة فى حقوق المواطنة لم تتم على أنقاض المرجعية الإسلامية، وبسبب استبعادها ـ كما يريد العلمانيون ـ وإنما الذى أنجزها هو الإسلام، والتى حكمتها هى المرجعية الإسلامية، التى نصَّ عليها هذا «الدستور» عندما قال: «وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار. يخاف فساده. فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ..»[2].

(١) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ١٧ ـ ٢١. جمعها وحققها: د. محمد حميد الله الحيدر أبادى ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٥٦م.
(٢) المصدر السابق. ص ٢٠.

... ومع النصارى

وفـى أول احـتـكـاك بـين هـذه الـدولـة الإسـلامـيـة الأولـى وبـين النصارى، عندما اتسعت دائرة حدودها فشملت رعية نصرانية - هم نصارى «نجران» - كتب لهم رسول الله ﷺ عهداً وتعاقداً دستورياً قنَّن فيه هذه التعددية الدينية فى رعية الدولة، وكامل المساواة والإنصاف فى حقوق المواطنة وواجباتها، وجاء فى هذا العهد: «.. ولنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا يحشرون - (أى لا يكلفون بالقتال)، ولا يعشرون - (أى لا يدفعون العشر الذى يدفعه التجار الأجانب)... ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولامظلومين.. وأن أحمى جانبهم، وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان ومواطن السياح، حيث كانوا من جبل أو واد أو مغار أو عمران أو سهل أو رمل. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا، من بر أو بحر، شرقاً وغرباً، بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى.. ولا يدخل شىء من بنائهم فى شىء من أبنية المساجد ولا منازل المسلمين.. ولا خراج ولا جزية إلا على من يكون فى يده ميراث

من ميراث الأرض ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدى ذلك على ما يؤديه مثله، ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها، ولا يكلف شططًا، ولا يتجاوز به حد أصحاب الخراج من نظائره. ولا يكلف أحد من أهل الذمة الخروج مع المسلمين إلى عدوهم، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران، فإنه ليس على أهل الذمة مباشرة القتال، وإنما أعطوا الذمة على ألاَّ يكلفوا ذلك، وأن يكون المسلمون ذَبًّا عنهم، وجوارًا من دونهم، ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذى يلقون فيه عدوهم بقوة وسلاح أو خيل، إلا أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم، فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به حمد عليه، وعرف له، وكوفئ به. ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ويخفض لهم جناح الرحمة، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا من البلاد.

ولا يحملوا من النكاح ـ (الزواج) ـ شططًا لا يريدونه، ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضاروا فى ذلك إن منعوا خاطبًا وأبوا تزويجًا، لأن ذلك لايكون إلا بطيبة قلوبهم، ومسامحة أهوائهم، إن أحبوه ورضوا به. وإذا صارت النصرانية عند المسلم ـ (زوجة) ـ فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها فى الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك، فمن خالف ذلك وأكرهها على شىء من أمر دينها فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين.

ولهم إن احتاجوا فى مرمة بيعهم وصوامعهم أو أى شئ من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رفد ـ (مساعدة)ـ من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها، أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك دينا عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله، وموهبة لهم، ومنة لله ورسوله عليهم. لأنى أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذى استوجبوا حق الذمام، والذب عن الحرمة، واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم..».

وإذا كانت الدهشة تتملك قلوب وعقول أهل هذا العصر الحاضر من هذا السخاء فى المساواة والعدل والإنصاف الذى أعطاه الإسلام ودولته «للآخر الدينى» قبل أربعة عشر قرنا، فإن هذه الدهشة ـ دهشة الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام ـ ستزداد وتتعاظم عندما يعلمون وتعلم الدنيا أن الإسلام لم يطلب من هذا «الآخر الدينى» مقابل كل هذا السخاء فى «الحقوق» سوى «واجب واحد» هو أن يكون هذا «الآخر» لبنة فى جدار الأمن الوطنى والحضارى للدولة الإسلامية، وأن يكون ولاؤه كاملا للدولة والوطن، وانتماؤه خالصًا للأمة التى هو جزء أصيل فيها، وألا يكون ثغرة اختراق لحساب أى من الأعداء..

فنص ذلك العهد والميثاق الدستورى ـ الذى عقده رسول الله ﷺ مع نصارى «نجران» ـ على هذا الواجب، عندما جاء فيه: «..واشترط عليهم أمورا يجب عليهم فى دينهم التمسك بها

والوفاء بما عاهدهم عليه، منها: ألا يكون أحد منهم عينا ولا رقيبا لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين فى سره وعلانيته، ولا يأوى منازلهم عدو للمسلمين يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا فى شىء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا - (يساعدوا) - أحدا من أهل الحرب على المسلمين، بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم.. وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم، وعند منازلهم، ومواطن عباداتهم، أن يؤووهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم ولا يظهروا العدو على عوراتهم ولا يخلوا شيئا من الواجب عليهم.»[1].

هكذا بلغ الإسلام القمة - غير مسبوق ولا ملحوق - عندما جعل «الآخر» يحافظ على اختلافه ومغايرته، وحرس وحمى هذه المغايرة وهذا الاختلاف، مع جعل هذا «الآخر» جزءًا من «الذات» أى الأمة الواحدة، ورعية الدولة الواحدة.. وعندما جعل كل ذلك جزءًا من الاعتقاد الإسلامى والتكليف الإلهى والسنة النبوية والسياسة الشرعية وعهد الله وميثاقه، وليس مجرد حق من حقوق الإنسان يمنحه حاكم ويمنعه آخرون!

---

(١) المصدر السابق. ص١١٢، ١٢٣، ١٢٣ـ ١٢٧.

ولقد استمرت هذه السياسة الإسلامية مرعية فى الدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى على امتداد هذا التاريخ..

فجميع الفتوحات الإسلامية قد دارت كل معاركها ضد جيوش القوى العظمى الباغية والغازية (الفرس والروم) التى استعمرت الشرق لعدة قرون، ولم تحدث معركة واحدة بين جيوش الفتح الإسلامى وبين أهل البلاد التى فتحها المسلمون.. بل إن أهل هذه البلاد قد ساعدوا الجيوش الإسلامية بالدعم المادى والمعنوى، وأحيانًا بالقتال ضد الفرس وضد الروم مع بقائهم على دياناتهم المغايرة للإسلام والموافقة لديانات الفرس والروم! صنع ذلك أهل العراق.. ونصارى الشام.. وأقباط مصر..

وعندما حررت الجيوش الإسلامية بلادهم، حررت كذلك ضمائرهم من الاضطهاد الدينى الذى عانوا منه عدة قرون، فتركوا - لأول مرة فى تاريخهم - وما يدينون، وأصبحوا جزءًا من رعية الدولة الإسلامية، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وظلوا أغلبية غير مسلمة فى بلادهم لعدة قرون، حتى دخل منهم من دخل فى الإسلام دون إكراه بل ودون ترهيب، وفى أحيان كثيرة دون ترغيب! وبقى من بقى منهم على نصرانيته أو يهوديته أو زرادشتيته، شاهدين بذلك على هذه السماحة غير المسبوقة التى جاء بها الإسلام، والتى وضعتها دولته وحضارته فى الممارسة والتطبيق.

وكما جعل الإسلام هذا «الآخر الدينى» جزءاً أصيلا من الأمة الواحدة والرعية الواحدة للدولة الإسلامية، فتح أمام هذا «الآخر» باب الإسهام فى بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، وذلك بعد أن استوعب الإسلام كل المواريث الحضارية السابقة التى قهرها الغزاة - الإغريق والرومان - فأحياها الإسلام، وترجم المسلمون علومها وفنونها، فدخلت تلك المواريث فى النسيج الجديد للحضارة الإسلامية الجديدة، فكان الإحياء الإسلامى لعلوم وفنون وفلسفات مدارس «الإسكندرية» و «أنطاكية» و«جنديسابور» وغيرها الإنقاذ الإسلامى للتراث الحضارى الإنسانى من القهر والضياع، الأمر الذى جعل الحضارة الإسلامية الجديدة بالنسبة لشعوب البلاد التى دخلت فى الدولة الإسلامية الطور الجديد لحضارتهم الوطنية والقومية والحضارية، مع بقاء التنوع الدينى حقاً مقدسًا من حقوق الضمير، لا سلطان عليه إلا لله: لأن الدين لله وحده، ولا يمكن أن يتأتى تدين حق مع أى لون من ألوان الإكراه.

وكما فتح الإسلام الأبواب أمام هذا «الآخر الدينى» للإسهام فى بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، ترك هذا «الآخر» ليدير دولاب «الدولة» ودواوينها، حتى وجدنا مستشرقًا ألمانيًا حجة - هو «آدم متز» (١٨٦٩ - ١٩١٧م)- يشهد هذه الشهادة التى تقول: «لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»[(١)].

(١) آدم متز (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) ج١ ص، ١٠٥ ترجمة: د. محمد عبد الهادى أبو ريدة - طبعة بيروت - سنة ١٩٦٧م.

ووجدنا المستشرق الإنجليزى «سير توماس أرنولد» (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م) يعلن عن سماحة الإسلام عندما يقول ـ وهو الشديد التدين بالنصرانية ـ: «إنه من الحق أن نقول إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح لانجد لها معادلاً فى أوربا قبل الأزمنة الحديثة. وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح»[1].

ولقد صدق على هذه الشهادة وفصل مجملها الكاتب النصرانى اللبنانى «جورج قرم»، عندما حصر أسباب التوتر الطائفى التى عرضت لفترات قليلة وعابرة، فى تاريخ المجتمعات الإسلامية، فى ثلاثة أسباب:

١ـ المزاج الشخصى المختل لحكام اضطهدوا الأغلبية مع الأقليات.

٢ـ الظلم والاستعلاء الذى مارسته الزعامات والقيادات النصرانية واليهودية التى تولت الوزارة وقبضت على جهاز الدولة المالى والإدارى، والتى كانت سوط عذاب للأغلبية الفقيرة من المسلمين، الأمر الذى ولّد ردود أفعال وفتنا لم تقف عند الذين ظلموا وحدهم دون سواهم.

(١) سير توماس أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٧٢٩، ٧٣٠ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٧٠م

٣ـ استجابة قطاعات محدودة من أبناء الأقليات الدينية لغوايات المستعمرين والغزاة لبلاد الإسلام، الأمر الذى ولد ردود أفعال وفتنًا لم تميز ـ فى الأقليات ـ بين القلة التى سقطت فى شباك الغواية والخيانة وبين جمهور هذه الأقليات.

حصر هذا الباحث النصرانى هذه التوترات الطائفية ـ العارضة فى التاريخ الإسلامى- بهذه الأسباب الثلاثة، وكتب يقول:

«إن فترات التوتر والاضطهاد لغير المسلمين فى الحضارة الإسلامية كانت قصيرة، وكان يحكمها ثلاثة عوامل:

العامل الأول: هو مزاج الخلفاء الشخصى، فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا فى عهد المتوكل (٢٠٦ ـ ٢٤٧هـ / ٨٢١ ـ ٨٦١م) الميال بطبعه إلى التعصب والقسوة. وفى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٧٥ ـ ٤١١هـ / ٩٨٥ ـ ١٠٢١م) الذى غالى فى التصرف معهم بشدة.

العامل الثانى: هو تردى الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية لسواد المسلمين والظلم الذى يمارسه بعض الذميين المحتلين لمناصب إدارية عالية، فلا يعسر أن تدرك صلتهما المباشرة بالاضطهادات التى وقعت فى عدد من الأمصار.

العامل الثالث: وهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبى فى البلدان الإسلامية وقيام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية

المسلمة.. إن الحكام الأجانب ـ بمن فيهم الإنجليز ـ لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية فى أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب ـ وهذه ظاهرة نلاحظها فى سوريا أيضا، حيث أظهرت أبحاث «جب» و «بولياك» كيف أن هيمنة أبناء الأقليات فى المجال الاقتصادى أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين فى دمشق سنة ١٨٦٠م، وبين الموارنة والدُروز فى جبال لبنان سنة ١٨٤٠م و ١٨٦٠م. ونهاية الحملات الصليبية قد أعقبتها، فى أماكن عديدة، أعمال ثأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية ـ ولا سيما الأرمن ـ التى تعاونت مع الغازى.

بل إنه كثيرًا ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامى، حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح، سببا فى نشوب قلاقل طائفية. فعلاوة على غلو الموظفين الذميين فى الابتزاز، وفى مراعاتهم وتحيزهم إلى حد الصفاقة أحيانًا، لأبناء دينهم، ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة»[1].

تلك هى شهادة الباحث النصرانى اللبنانى، التى تثنى على شهادة المستشرق النصرانى الإنجليزى.. حول أسباب التوترات الطائفية العابرة فى تاريخنا الإسلامى.

(١) جورج قرم (تعدد الأديان ونظم الحكم دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة) ص ٢١١ ـ ٢٢٤ـ طبعة بيروت ـ سنة ١٩٧٩م ـ والنقل عن د. سعد الدين إبراهيم (الملل والنحل والأعراق) ص ٧٢٩، ٧٣٠ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٩٠م.

وإذا شئنا وقائع من التاريخ ـ غير ما أشار إليه «جورج قرم» ـ شاهدة على صدق هذا التحليل والتعليل، فما علينا إلا أن ننظر فيما كتبه «المقريزى» (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ/ ١٣٦٥ ـ ١٤٤١م) عن استعلاء النصارى واليهود الذين تولوا الوزارة والجباية والإدارة فى العصر الفاطمى[1] وما كتبه «المقريزى» ـ أيضا ـ عن استقواء نصارى دمشق «بهولاكو» والتتار، وقائد التتار ـ النصرانى النسطورى ـ «كتبغا» إبَّان الاجتياح التتارى للمشرق العربى والإسلامى.. وما أثارته هذه الخيانة من رد فعل جعل السلطان «قطز» (٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م) يوقع بهم عقابًا شديدًا عقب الانتصار على التتار فى «عين جالوت» (٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م)..[2] وأن نقرأ ـ أيضا ـ ما كتبه «الجبرتى» (١١٦٧ ـ ١٢٣٧هـ/ ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢م) عن خيانة «المعلم يعقوب حنا» (١٧٤٥ ـ ١٨٠١م) ـ والذى يسميه «الجبرتى» «يعقوب اللعين» ـ والفيلق القبطى الذى جنده وقاده وحارب به الشعب المصرى لحساب الحملة الفرنسية التى قادها «بونابرت» (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) ضد مصر ١٢١٣هـ ١٧٩٨م)، وكيف «عهد الجنرال «كليبر» (١٧٥٣ ـ ١٨٠٠م) إلى الجنرال يعقوب أن يفعل بالمسلمين ما يشاء.. حتى تطاول هو وأنصاره على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم

(١) المقريزى (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) ص ٢٩٧، ٢٩٨ ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٦٧م. و(الخطط) ج٢ ص ١٢٣ ـ طبعة دار التحرير القاهرة.

(٢) المقريزى (كتاب السلوك إلى دول الملوك) ج١ ق٢ ص ٤٢٥، ٤٣٢ تحقيق: د محمد مصطفى زيادة ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا! وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»[1].

وما أحدثته هذه الاستجابات لغوايات الغرب والمستعمرين من توترات طائفية فى النسيج الوطنى والقومى والحضارى فى تلك الفترات من التاريخ.

لكنها ظلت فى إطار «التوترات العابرة» التى ارتبطت بفترات الغزو، وبالاستجابات المحدودة من قطاعات محدودة لغوايات الغزاة.. بينما ظل النسيج الوطنى والقومى والحضارى مجسدًا للتنوع فى إطار الوحدة، وللاختلاف فى إطار الأمة الواحدة، والحضارة الواحدة، والقومية الواحدة والدولة الواحدة، تلك الجوامع التى أنجزتها سماحة الإسلام

* * *

(١) الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ج٥ ص١٣٦. تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقى، السيد إبراهيم سالم - طبعة القاهرة - سنة ١٩٦٥.

نظـرة مقارنـة

وإذا كان الشئ يظهر حُسنه الضد.. وبضدها تتميز الأشياء.. فما علينا إلا أن نقارن بين هذه الأمثلة:

مثال: انتصار الإسلام على الشرك الوثنى، ذلك الذى فتن المسلمين فى دينهم، وأخرجهم من ديارهم.. وعلى الخيانة اليهودية، التى تحالفت مع الشرك الوثنى ضد التوحيد الإسلامى.. انتصار الإسلام عليهم، فى عشرين موقعة ـ هى التى دار فيها قتال.. ما بين سنة ٢ هـ وسنة ٩هـ هذا الانتصار الذى غير وجه الدنيا والحضارة والتاريخ، وكيف أن ضحايا هذه المعارك ـ من الفريقين ـ لم تتجاوز ٣٨٦ قتيلاً ـ ١٨٣ هم مجموع شهداء المسلمين و ٢٠٣ هم كل قتلى المشركين[١].

بينما نجد الحرب الدينية ـ التى دامت أكثر من قرنين ـ داخل النصرانية ذاتها بين الكاثوليك والبروتستانت، فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ـ قد أبيد فيها ٤٠٪ من شعوب وسط أوربا.. ووفق إحصاء «فولتير» (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م) بلغ ضحاياها عشرة ملايين نصرانى[٢].

---

(١) انظر: ابن عبد البر (الدرر فى اختصار المغازى والسير) تحقيق: د. شوقى ضيف ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٦٦م. وانظر كتابنا (الإسلام والآخر) ص٦٥ ـ طبعة القاهرة ـ سنة ٢٠٠١م.

(٢) انظر فى هذه الحروب الدينية: ول ديورانت (قصة الحضارة) مجلد ٦ ج ٣، ٤. ترجمة د. عبد الحميد يونس ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٧١، ١٩٧٢م. وسير توماس أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٣٠ ـ ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ ـ ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤ ـ ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦. وبطرس البستانى (دائرة المعارف) ـ مادة «حروب دينية» ـ طبعة القاهرة الأولى. وهاشم صالح ـ صحيفة «الشرق الأوسط» ـ لندن ـ فى ٢٦ ـ ٢ ـ ٢٠٠٠م.

مثال ثان: نقارن فيه بين ترك الإسلام الناس وما يدينون، لأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] .. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].. ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨].. وهى المبادئ والقواعد والتشريعات القرآنية التى جسدتها عهود ومواثيق رسول الله ﷺ مع اليهود والنصارى..

نقارن بين هذا المثال الإسلامى وبين اغتيال الكنيسة الأوربية لحرية الاعتقاد الدينى بمحاكم التفتيش التى أعملت التعذيب والسجن والإحراق والإغراق والإعدامات على الخوازيق لأكثر من ثلاثة قرون[1].. وكذلك، ما صنعه الملوك والأمراء والقساوسة عندما فرضوا على الناس بحد السيف ديانة النصرانية رغم صوفيتها المسالمة وسلامها المتصوف ووصاياها بحب الأعداء ومباركة اللاعنين.. وبشهادة «السير توماس أرنولد» فإن شارلمان (٧٤٢ ـ ٨١٤م) قد فرض المسيحية فى السكسونيين بحد السيف. وكذلك صنع الملك «كنوت» فى الدانمرك. وجماعة إخوان السيف فى بروسيا. والملك «أولاف ترايجفيسون» فى جنوب النرويج. والأمير «فلاديمير» فى روسيا سنة ٩٨٨م. والأسقف «دانيال بيتروفتش» فى الجبل الأسود. والملك «شارل روبرت» فى المجر. والملك «سيف أرعد»

(١) د. توفيق الطويل (قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام) ص ٧، ٧٠، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١ ـ ٨٣. طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٩١م.

في الحبشة.. كل هؤلاء استأصلوا المخالفين لمسيحيتهم، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وذبحوهم ونفوهم وشردوهم، بمجرد تدين هؤلاء الملوك والأمراء بالنصرانية[1].

مثال ثالث: نقارن فيه بين سماحة الإسلام، التي جعلت الدولة الإسلامية «منتدى» تتعدد فيه الديانات والمذاهب واللغات والقوميات والأجناس والألوان، على امتداد تاريخ الإسلام، منذ دولة النبوة في المدينة المنورة وحتى هذه اللحظات.. وبين ضيق الغرب بالتعددية حتى داخل النصرانية- أي بالتعددية المذهبية - حتى أنه لم يعرف التعددية إلا على أنقاض سلطان النصرانية وفي ظل العلمانية، ثم رأيناه - حتى في ظل هذه العلمانية، ودعاوى الحرية وحقوق الإنسان - لا يزال ضيق الصدر «بالآخر الإسلامي».. ففي داخل المجتمعات الغربية يرى الوجود الإسلامي غزوًا وفتحًا إسلاميًا لأوربا، فيقول كبار قساوسة الغرب: «إن الإسلام يشكل تحديًا بالنسبة لأوربا وللغرب عمومًا.. وإن العالم الإسلامي قد بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط.. وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول المسيحية.. فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجًا واضحًا للتوسع، وفتحًا جديدًا!»[2].

(١) (الدعوة إلى الإسلام) ص ٣٠، ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦.

(٢) الكاردينال «بول بوبار» - مساعد بابا الفاتيكان، ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة - من حديث إلى صحيفة «الفيجارو» الفرنسية. والمونسنيو «جوزيبي برنارديني» - في حضرة بابا الفاتيكان - انظر صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - في ١٣ - ١٠ - ١٩٩٩م.

أما فى ديار المسلمين، فلقد سعى هذا الغرب النصرانى - برعاية ودعم العلمانية الغربية للكنائس الغربية - إلى تنصير المسلمين فى ديارهم.. فجاء فى «بروتوكولات» قساوسة التنصير، الذين اجتمعوا فى مؤتمر «كولورادو» بأمريكا - مايو سنة ١٩٧٨م -: «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. والنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيًا وسياسيًا.. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام، ولاختراقه فى صدق ودهاء.. ولذلك، لايوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين»[1].

ولقد خططوا - فى وثائق هذا المؤتمر - لاختراق الثقافة الإسلامية، والوصول إلى تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل على الكنائس الوطنية والمحلية والعمالة الفنية المدنية الأجنبية وبالتركيز على المرأة والمبعوثين المسلمين فى المجتمعات الغربية.. وباستخدام الفنون والآداب.. بل وبصناعة الكوارث التى تخل بتوازن المسلمين فتسهل تحولهم عن الإسلام إلى النصرانية! فقالوا: «لكى يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس - أفرادًا وجماعات - خارج حالة التوازن التى اعتادوها! وقد تأتى هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية أو الوضع الاجتماعى المتدنى.. فى غياب مثل هذه الأوضاع المهينة فلن تكون هناك

---

(١) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى) ص ٢٢، ٢٣، ٤٢٥ - وثائق مؤتمر «كولورادو» - الطبعة العربية - مالطا سنة ١٩٩١م.

تحولات كبيرة إلى النصرانية! ولذلك، فإن تقديم العون لذوى الحاجة قد أصبح أمرًا مهمًا فى عملية التنصير! وإن إحدى معجزات عصرنا، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكومتها التى كانت تناهض العمل التنصيرى، فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى..»[1].

وكذلك، سعى الغرب «السياسى ـ العلمانى» إلى شن حرب داخل الإسلام، لإرغام الإسلام على قبول «العلمانية الغربية» التى تجعله صيغة نصرانية، يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله.. وعلى قبول «الحداثة» ـ بمعناها الغربى ـ التى تقيم قطيعة معرفية كبرى مع الله والغيب، عندما «تؤنسن» الدين، فتفرغه من الدين[2].

هذه «الحداثة الغربية» التى عرفها أنصارها بأنها: إحلال الدين الطبيعى محل الدين الإلهى، فالدين الطبيعى هو الدين الحقيقى![3] وبأنها: القول بمرجعية العقل وحاكميته.. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة محل إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون![4].

تلك مجرد أمثلة ثلاثة من الجانب الآخر، للذين يحتاجون إلى المقارنات..

(١) المصدر السابق ص٤، ٥، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٥٣، ٥٦، ١٤٧، ٢٤٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٦٤، ٣٨٣، ٤٦٩، ٦٢٧، ٦٣٠، ٦٤٤، ٧٣٣، ٧٧٣، ٧٨٩، ٧٩٠، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٩، ٨٤٥، ٨٨٠. وانظر كتابنا (الغارة الجديدة على الإسلام) ـ طبعة القاهرة ـ سنة ١٩٩٨م.

(٢) فوكوياما ـ مجلة «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ العدد السنوى ـ ديسمبر سنة ٢٠٠١م ـ فبراير ٢٠٠٢م.

(٣) هاشم صالح ـ صحيفة «الشرق الأوسط» ـ لندن ـ فى ١٣ ـ ١٢ ـ ٢٠٠١م

(٤) د. على حرب ـ صحيفة «الحياة» ـ لندن فى ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٩٦م

الخاتمة

هكذا بدأت السماحة فى تاريخ الإنسانية بظهور الإسلام.. وهكذا وضعت الدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية هذه السماحة فى الممارسة والتطبيق، عبر تاريخ الإسلام والمسلمين.. ومن حق المسلمين أن يباهوا الدنيا بهذا المستوى الإسلامى، غير المسبوق والمنقطع النظير فى السماحة التى تجاوزت الاعتراف بالآخر - الذى يبادل الإسلام اعترافًا باعتراف - إلى مستوى الاعتراف بالآخر الذى لايعترف بالإسلام، وإنما يجحده وينكره ويكفر به.. والتى جعلت تمكين هذا الآخر من إقامة كفره بالإسلام جزءًا من عقيدة الإسلام، وواجبًا من واجبات الدولة الإسلامية.. حتى لقد بلغ الإسلام - على هذا الدرب - الحد الذى جعل فيه هذا «الآخر» جزءًا لا يتجزأ من «الذات» الوطنية والقومية والحضارية، كما جعل الأقوام والأمم والشعوب والقبائل والحضارات تنوعًا فى إطار الإنسانية التى أراد الله سبحانه وتعالى لها هذا التنوع وهذه التعددية سُنَّة قائمة إلى يوم الدين.. وإذا كان الشىء يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء.. فإن عظمة هذه السماحة الإسلامية تزداد بهاءً وجلالاً عندما نراها فى ضوء هذا «البؤس» الذى صنعه ولا يزال يصنعه؛ وإذا كان من حق المسلمين أن يباهوا بهذه السماحة الإسلامية؛ فإن من شيم العقلاء وواجباتهم فقه هذه السماحة والتعلم منها

والاستجابة إلى كلمتها الإسلامية السواء... وذلك بدلا من شن الحروب الصليبية.. والدينية.. والحديث عن صدام الحضارات وحروب الثقافات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام وسماحة الإسلام.

* * *

الفهرس

سلسلة «فى التنوير الإسلامى»

١ـ الصحوة الإسلامية فى عيون غربية	د. محمد عمارة
٢ـ الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٣ـ أبو حيان التوحيدى.	د. محمد عمارة
٤ـ دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى.	د. سيد دسوقى
٥ـ ابن رشد بين الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٦ـ الانتماء الثقافى	د. محمد عمارة
٧ـ تنصير العالم	د. زينب عبد العزيز
٨ـ التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات.	د. محمد عمارة
٩ـ صراع القيم بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
١٠ـ د. يوسف القرضاوى: المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى	د. محمد عمارة
١١ـ تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم	د. سيد دسوقى
١٢ـ عندما دخلت مصر فى دين الله	د. محمد عمارة
١٣ـ الحركات الإسلامية رؤية نقدية	د. محمد عمارة
١٤ـ المنهاج العقلى	د. محمد عمارة
١٥ـ النموذج الثقافى	د. محمد عمارة
١٦ـ منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق	د. صلاح الصاوى
١٧ـ تجديد الدنيا بتجديد الدين	د. محمد عمارة
١٨ـ الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة	د. محمد عمارة
١٩ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم	د. محمد عمارة
٢٠ـ التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد	د. محمد عمارة
٢١ـ فكر حركة الاستنارة وتناقضاته	د. عبد الوهاب المسيرى
٢٢ـ حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجيه جارودى	د. شريف عبد العظيم
٢٣ـ إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين	د. محمد عمارة
٢٤ـ الحضارات العالمية تدافع؟ أم صراع؟	د. محمد عمارة
٢٥ـ التنمية الاجتماعية بالغرب.. أم بالإسلام؟	د. عادل حسين
٢٦ـ الحملة الفرنسية فى الميزان	د. محمد عمارة
٢٧ـ الإسلام فى عيون غربية (دراسات سويسرية)	ترجمة / أ. ثابت عيد
٢٨ـ الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة.. أم تفتيت واختراق	د. محمد عمارة
٢٩ـ ميراث المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣٠ـ نفقة المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣١ـ الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية	د. محمد خاتمى

٣٢ـ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية	د. محمد عمارة
٣٣ـ الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟	د. محمد عمارة
٣٤ـ صورة العرب فى أمريكا.	ترجمة وتعليق/ أ ثابت عيد
٣٥ـ هل المسلمون أمة واحدة؟	د. محمد عمارة
٣٦ـ السنة والبدعة	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٧ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٨ـ قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى	د. عبد الوهاب المسيرى
٣٩ـ مركسة الإسلام.	أ. منصور أبو شافعى
٤٠ـ الإسلام كما نؤمن به.. ضوابط وملامح	د. يوسف القرضاوى
٤١ـ صورة الإسلام فى التراث الغربى.	ترجمة/ أ. ثابت عيد
٤٢ـ تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة	د. محمد عمارة
٤٣ـ القدس بين اليهودية والإسلام.	د. محمد عمارة
٤٤ـ مأزق المسيحية والعلمانية فى أوربا (شهادة ألمانية)	تقديم وتعليق/ د. محمد عمارة
٤٥ـ الآثار التربوية للعبادات فى الروح والأخلاق	د. صلاح الدين سلطان
٤٦ـ الآثار التربوية للعبادات فى العقل والجسد	د. صلاح الدين سلطان
٤٧ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية	د. محمد عمارة
٤٨ـ نظرات حضارية فى القصص القرآنى	د. سيد دسوقى
٤٩ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين	د. محمد عمارة
٥٠ـ الإعلان الإسلامى لحقوق الإنسان	تقديم/ د. محمد سليم العوا
٥١ـ عن القرآن الكريم	الشيخ/ أمين الخولى
٥٢ـ فى فقه الأقليات المسلمة	د. طه جابر علوان
٥٣ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية	د. محمد عمارة
٥٤ـ مركسة التاريخ	أ. منصور أبو شافعى
٥٥ـ نقل الأعضاء فى ضوء الشريعة والقانون	مستشار/ طارق البشرى
٥٦ـ السنة التشريعية وغير التشريعية	محمد الفاضل بن عاشور
	الشيخ/ على الخفيف
	د. محمد سليم العوا
	د. محمد عمارة
٥٧ـ شبهات حول الإسلام.	د. محمد عمارة
٥٨ـ نحو طب نفسى إسلامى	د. وائل أبو هندى
٥٩ـ واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات	عطية فتحى الويشى
٦٠ـ بناء المفاهيم الإسلامية	د. سيف الدين عبد الفتاح
٦١ـ المستقبل الاجتماعى للأمة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٢ـ شبهات حول القرآن الكريم	د. محمد عمارة

٦٣ـ أزمة العقل العربي	د. فؤاد زكريا د. محمد عمارة
٦٤ـ في التحرير الإسلامي للمرأة	د. محمد عمارة
٦٥ـ روح الحضارة الإسلامية	الشيخ/ محمد الفاضل بن عاشور تعليق وتقديم/ د. محمد عمارة
٦٦ـ الغرب والإسلام افتراءات لها تاريخ	د. محمد عمارة
٦٧ـ السماحة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٨ـ الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانياً؟	د. محمد عمارة
٦٩ـ صلة الإسلام بإصلاح المسيحية	الشيخ/ أمين الخولي تقديم/ الإمام الأكبر الشيخ/ محمد مصطفى المراغي تمهيد/ د. محمد عمارة
٧٠ـ بين التجديد والتحديث	د. سيف الدين عبد الفتاح تقديم/ د. محمد عمارة
٧١ـ الوقف والتنمية المستقلة	د. إبراهيم البيومي غانم تقديم/ د. محمد عمارة
٧٢ـ الرسالة القرآنية والتفسير الحضاري للقرآن الكريم	د. سيد دسوقي حسن

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى : لأن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - أنوار تصنع للمسلم تنويرًا إسلاميًا متميزًا.

ولتقديم هذا « التنوير الإسلامى » للقراء، تصدر هذه السلسلة، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر:

- د. محمد عمارة
- د. سيف عبد الفتاح
- أ. فهمى هويدى
- د. سيد دسوقى
- د. عبدالوهاب المسيرى
- د. عادل حسين
- المستشار/ طارق البشرى
- د. محمد سليم العوا
- د. يوسف القرضاوى
- د. كمال الدين إمام
- د. شريف عبدالعظيم
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح؛ لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

نهضة مصر
6 221133 324113